الفتنة والفرقان في القرآن

دراسة قرآنية في مفهوم وموجباتها

الشيخ محمد مهدي الآصفي

إطار الفتنة في القرآن

الفتنة مصطلح قرآني محدّد، يتوقف فهمه على وضعه في الإطار الذي وضعها القرآن فيه. وفي هذا الإطار نستطيع أن نفهم معنى الفتنة وأنواعها، ومضلاّت الفتن، وفتنة الخير، وفتنة الشرّ، وفتنة السرّاء، وفتنة الضرّاء.

وهذا الإطار يتكوّن من ثلاثة مفاهيم:

١ـ الهوى

٢ـ الفتنة

٣ـ الابتلاء

وفيما يلي نحاول أن نرسم هذا الإطار من خلال ما ورد في القرآن من توضيح لهذه المفاهيم الثلاثة.

١ـ الهوى

الأهواء هي مجموعة الغرائز والنوازع والرغبات الكامنة في نفس الإنسان الساعية لتحقيق لذّات جسد الإنسان وحاجاته، وهي من أهم العوامل المقوّمة لحياة الإنسان، ولولا الهوى لم تتصل ذريّة الإنسان، ولم تعمّر الأرض بالإنسان، ولم تستقر حياته على وجهها، ولم ينتظم أمر معيشته.

تكمن خطورة الهوى في طغيانه ونفوذه وتأثيره القوي في حياة الإنسان، فلا يتوقف عند الحدود المعقولة لحاجة الجسد. وليس لنزوع الإنسان إلى المال والموقع والسلطان واللذّات الأخرى حدود معقولة. وقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا المعنى: «**لو كان لابن آدم وادٍ من مال لابتغى إليه ثانياً، ولو كان له واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب**»(١).

وهذه الخاصة التوسعية من أبرز خصائص الهوى،، والخاصة الأخرى له هي قوة تحريكه ونفوذه وتأثيره. وقد ورد في القرآن: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ**﴾(٢). وفي هذه الآية، العديد من الدلالات على التأكيد والمبالغة، ولأمرٍ ما جعل الله تعالى للهوى هذه القوّة والنفوذ والتأثير في حياة الإنسان.

٢ـ الفتنة

الفتن هي مجموعة المثيرات والمغريات الموجودة في واقع حياة الإنسان، مثل: المال، والسلطان، والموقع، والجنس الآخر، والمأكل، والمشرب، والمسكن، والمركب، والأزواج والبنين، وهي الوجه الآخر للهوى.

فإنَّ الأهواء هي الرغبات والغرائز والميول الكامنة في داخل النفس، والفتن هي المثيرات والمغريات للهوى القائمة في واقع الحياة. فالأهواء كامنة داخل النفس. والفتن قائمة خارج النفس في واقع الحياة. والأهواء هي الرغبات والميول النفسية، والفتن هي المثيرات والمغريات لتلك الغرائز والميول.

إذاً، هما قطبان متقابلان: **القطب الأول** كامن داخل النفس و**القطب الآخر** في واقع الحياة. وهما يتجاذبان، فالجنس الآخر في واقع الحياة يثير الغريزة الجنسية في النفس، والمال يثير في النفس غريزة حبّ المال، وكذلك الموقع وحبّ الموقع، والدنيا وحب الدنيا... وهكذا.

والفتن على طائفتين:

الطائفة الأولى: عوامل الإثارة والإغراء.

و**الطائفة الثانية**: عوامل البأس والضرّ وسوف نتحدث عنهما إن شاء الله فيما بعد.

مضلاّت الفتن

ومن الفتن مضلاّت الفتن التي طالما استعاذ منها بالله تعالى عباده الصالحون. يقولون: «اللهم إنّا نعوذ بك من مضلاّت الفتن»، وهي طائفة من الحوادث والخلافات والمنازعات

والمنافسات على الملك والسلطان تسلب الرؤية من الناس وتتركهم من غير نور، إلا من عصم الله تعالى وهداه، وهي من أخطر أنواع الفتنة، يفقد فيها الناس ما أتاهم الله تعالى من النور والهدى والبصيرة ويتخبطون في ظلمات الفتنة ويلتبس عليهم الحقّ بالباطل حتّى لا يميّزوا حقّاً من باطل ولا باطلاً من حق، ولا يميّزوا بين إمام هدى وإمام ضلال، إلا من عصم الله تعالى من عباده الصالحين.

ومن هذه الفتن ما حدث للمسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتّى قاتل الناس علياً والحسين (عليهما السلام) ووقفوا إلى جنب معاوية في صفّين والطّف، وخذلوا الحسن (عليه السلام) ونصروا معاوية.

ولا يمكن أن يكون هذا التخبّط في الموقف واليأس، والنصر، والخذلان، والقتال من دون أن تُطبِق الفتنة عليهم، وتسلبهم النور والرؤية بشكل كامل، إلا من عصم الله.

ونقول إلا «**من عصم الله**»؛ لأن هذه الفتنة نتيجة لأعمال الناس أنفسهم وليست سبباً. فمن الناس من يجلب الفتنة لنفسه بعمله وهم الذين تُحرِقُهم الفتنة وتسلبهم النور والبصيرة والهدى. ومن الناس من يعصمهم الله في الفتن بالتقوى والإخلاص وابتغاء وجه الله، فيسلمون في الفتنة ويعصمهم الله تعالى فيها فلا تضرهم، مهما ضرّت وقست.

٣ ـ الابتلاء

وابتلاء الإنسان هو في علاقة الفتنة بالهوى، فالفتنة تجذب الهوى، وهو ينجذب إليها (في فتنة السرّاء). والأهواء تجزع من الفتن والفتن تُجزِع الهوى في (فتنة الضرّاء). وابتلاء الإنسان في هذا «الجذب» و «الجزع»، و«الاندفاع» و «الفرار»، و ليس في الاستجابة للهوى في السعي إلى فتن السرّاء، والجزع من فتن الضرّاء، بأس عندما تكون هذه الاستجابة في الحدود المعقولة التي يقررها الدين والعقل.

الهوى والفتنة في حياة الإنسان يطغيان، ويتجاوزان حدود الدين والعقل ويغلبان الإنسان الذي يمكن أن يغلبهما بالصبر والتقوى. والصبر هو سلاح الإنسان في مواجهة فتنة الضرّاء. والتقوى هو سلاح الإنسان في مواجهة فتنة السرّاء. فإذا استسلم الإنسان لطغيان الهوى والفتنة كان مآله الجحيم وإذا صبر واتقى الله، وضبط النفس عن الهوى كان مأواه الجنة: ﴿**فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الحياةَ الدُّنْيا فَإِنَّ الجحِيمَ هِيَ المأوى وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الجنَّةَ هِيَ المأوى**﴾[٣].

والابتلاء هو احتكاك الأهواء بالفتن. وهذا التماس بين الهوى والفتنة هو مصدر ابتلاء الإنسان. وعلى أساسه يتهاوى الإنسان أو يرقى، يسقط إذا استسلم لطغيان الهوى والفتنة. ويرقى إلى الله إذا قاوم الهوى والفتنة بالصبر والتقوى وهما سلّمان يرقى بهما الإنسان إلى الله تعالى.

مساحة الفتنة في حياة الإنسان

مساحة الفتنة في حياة الإنسان من أوسع المساحات. والله تعالى يمتحن بعضاً ببعض، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[٤]. فالرعية فتنة للحاكم، والضعيف فتنة للقوي، والفقير فتنة للغني، وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الفقير عند الغني فتنة، والضعيف عند القوي فتنة»[٥].

فإن الله تعالى يمتحن الأقوياء بالضعفاء ويمتحن الأغنياء بالفقراء ليرى ما يؤدون إليهم من حقوقهم التي فرضها الله تعالى عليهم تجاههم، كما أن المال فتنة للإنسان والأزواج والأولاد فتنة له أيضاً. يقول تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٦] و﴿إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٧]. والله يمتحن الناس بأموالهم وأولادهم وأزواجهم. وقد ورد في الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن في مال الرجل فتنة، وفي زوجته فتنة وفي ولده»[٨]. وقد روي في صفة عيسى (عليه السلام): «لم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا ولد يلقته»[٩]. وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال»[١٠]. وقال أمير المؤمنين لرجل يسمى (حرب) يمشي معه وهو راكب: «ارجع فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن»[١١].

إذاً، مساحة الفتنة من أوسع المساحات في حياة الإنسان وأينما يتجه الإنسان يواجه الفتن مع كل قبض وبسط في حياته. روي عن الصادق (عليه السلام): «ما من قبضٍ ولا بسط إلا ولله فيه المنّ أو الابتلاء»[١٢]. وأيضاً عنه (عليه السلام): «ما من قبض ولا بسط إلا ولله فيه مشيئة وقضاء وابتلاء»[١٣]. وأيضاً عنه (عليه السلام): «ليس شيء فيه قبض وبسط مما أمر الله به أو نهى عنه إلا وفيه ابتلاء وقضاء»[١٤].

يقول العلامة المجلسي في تفسير القبض والبسط في هذه الأحاديث: «لعل القبض والبسط في الأرزاق بالتوسّع والتقتير، وفي النفوس بالسرور والحزن، وفي الأبدان

بالصحّة والألم، وفي الأعمال بتوفيق الإقبال عليه وعدمه، وفي الأخلاق بالتحلية وعدمها، وفي الدعاء بالإجابة له وعدمها، وفي الأحكام بالرخصة في بعضها والنهي عن بعضها»(١٥).

ولأمرٍ ما جعل الله مساحة الفتنة في حياة الإنسان مساحة واسعة؛ لأن الإنسان يتكامل ويرقى إلى الله تعالى بالفتنة ويخلص مما يشوب نفسه من الهوى والريب بالفتنة، فكانت مساحة الفتنة أوسع المساحات في حياة الإنسان.

فتنة السرّاء والضرّاء

الفتن على طائفتين: فتنة الضرّاء وهي عوامل البأس والضرّ. وفتنة السرّاء وهي عوامل الإثارة والإغراء. وكل منهما فتنة وابتلاء وامتحان، ولكن الأُولى من خلال المعاناة، والعذاب، والشدة، والثانية من خلال الإغراء، والإثارة، والرخاء، والعافية.

فتنة الضراء

ومن عجب أن الثانية أخطر على الإنسان من الأولى. وعن الطائفة الأولى من الفتن يقول تعالى: ﴿وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيءٍ مِنَ الخَوْفِ وَ الجوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَ الأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونْ﴾(١٦).

وهذه طائفة من فتن الضراء تصيب الناس، ويمتحن الله تعالى بها صبر المؤمنين ومقاومتهم (وبشّر الصابرين). في هذه الفتن يقبل الناس على الله تعالى، ويتضرعون إليه، ويشدون حبلهم بحبله، وبذلك يكتسبون من عند الله الحول والقوة. ومفتاح ذلك التضرّع إلى الله، والإقبال عليه. يقول تعالى: ﴿وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنا أَهْلَها بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾(١٧)

وهذه الفتنة تزيد المؤمنين صلابة، وقوّة، ومقاومة، وتعدهم للقيام برسالة التوحيد على وجه الأرض، وهي مهمة صعبة وشاقّة وعسيرة.

فتنة السرّاء

وإلى فتنة السرّاء يشير القرآن: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(١٨).

وهي فتن، كما أن فتن الضرّاء فتن غير أن الله تعالى يبتلي عباده في النوع الأول بالمعاناة والعذاب والمحنة، ليعلم مقاومتهم وصبرهم. وفي هذه الفتن يبتلي عباده بالإغراء والإثارة والعافية ليعلم مقاومتهم وتقواهم (وهو العليم الحكيم)، وفي كل منهما يسقط الناس. فمن الناس من يسقط في فتنة الضرّاء والبأساء، وكثيرون، أولئك الذين تنفذ مقاومتهم ويستسلمون لفتنة الضرّاء، ويتساقطون أثناء رحلة العذاب الطويلة الشاقة: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(١٩).

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾(٢٠).

ومن الناس من يصبر ويقاوم في رحلة الضرّاء الشاقة، ولكن يسقط على أعتاب فتنة السرّاء. ومن عجب أن الذين يسقطون في فتنة السرّاء أكثر من الذين يسقطون في فتنة الضرّاء. وفتنة السرّاء أشق على الإنسان وأصعب وأكثر خطورة.

إذاً، هناك نحوان من «الفتنة» على طريق الإنسان إلى الله تعالى. فتنة السرّاء وفتنة الضرّاء، وهما في مصطلح القرآن «فتنة الخير والشّر» يقول تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾(٢١). ومن فتنة الخير الأموال، والأولاد، والأزواج. يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

انقلاب فتنة الضرّاء إلى فتنة السرّاء

وإذا أفلحت أمة في اجتياز «فتنة الضرّاء» ابتلاها الله تعالى بـ «فتنة السرّاء»، وانقلبت في حياتهم فتنة الضرّاء إلى السرّاء وهما وجها قضية واحدة، وعندئذٍ قد يسقط في فتنة السرّاء، بعض من تجاوز فتنة الضرّاء بقوّة وشموخ وصبر.

وعن هذا الانقلاب من فتنة الضرّاء إلى فتنة السرّاء يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما روى عنه الرواة: «**أنا لفتنة السرّاء أخوف عليكم من فتنة الضرّاء، إنكم إذا ابتليتم بفتنة الضرّاء صبرتم، وإن الدنيا حلوة خضرة**»(٢٢).

وهو حديث عجيب عن الفتنة. إن فتنة الضرّاء تزيد الإنسان قوةً وصبراً وصمودا «إنكم إذا ابتليتم بفتنة الضرّاء صبرتم» إن التعذيب والسجون والاضطهاد والمطاردة تزيد المؤمن قوة على قوّة، وصبراً على صبر، وصموداً على صمود.

ولكن الدنيا حلوة خضرة، كما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإذا ابتلى الله تعالى المؤمن بحلاوتها الدنيا وخضرتها، فلم يسقط فيها يكون قد بلغ الغاية من الصمود والقوة والتقوى والصبر، وهي أمارات العبودية لله تعالى.

إن فتنة السرّاء تنخر الأمة من الداخل، وفتنة الضرّاء تضغط على الأمة من الخارج. وخطر الأول على الإنسان أكثر من الثاني. وما يلزم الإنسان من الحذر والحيطة في الأول أكثر من الثاني.

ويشير رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا الحديث إلى انتقال المسلمين من أيام المحنة والاضطهاد والجوع في مكة والمدينة، وهي فتنة الضرّاء في حياتهم إلى مرحلة اليسر والعافية والسّعة والغنى أيام الفتوحات؛ حيث أقبلت الدنيا على المسلمين، وفتحت كنوز الأرض لهم صدورها، ودانت لهم مراكز القوة فيها.

ولم يكن يومئذٍ رسول الله (صلى الله عليه وآله) معهم في هذه المرحلة من الفتنة، ولكنه كان يعلم بها، ويحذرهم منها. روي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقبل يوماً على أهل الصُفّة في المسجد وهم يرقعون ثيابهم بالأدم، ما يجدون لها رقاعاً. فقال (صلى الله عليه وآله): «**أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلّةٍ ويروح في أخرى، ويُغْدَى عليه بجفنة ويُرَاحُ عليه بأخرى، ويستتر بيته كما تستتر الكعبة؟ قالوا: نحن يومئذٍ خير. قال: بل أنتم اليوم خير**»(٢٣).

وإذا كان رسول الله لم يدرك هذه الفترة الصعبة من تاريخ هذه الأمة، فقد أدركها أمير المؤمنين (عليه السلام) وعاصرها بكل سيّئاتها وآثارها المخربة في حياة المسلمين. كان يرى دور هذه الفتنة في إفساد المسلمين، وتحللهم وميلهم إلى الدنيا، ورغبتهم عن الآخرة، وبعدهم من الله، وقربهم من الأهواء والشهوات، وتكالبهم على الدنيا وتنافرهم وتضاربهم فيما بينهم. وكان يشبّه أثر النعمة في حياة المسلمين يومئذٍ بالسكر. فكان يقول: «**ألا فتوقعوا ما يكون من إدبار أموركم وانقطاع وصلكم، ذاك حيث تسكرون من غير شرابٍ، بل من النعمة والنعم**»(٢٤).

ويخاطبهم (عليه السلام) ويحذرهم، فيقول: «**ثم إنكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت، فاتقوا سكرات النعمة، واحذروا بوائق النقمة، وتثبتوا في قتام العشوة، واعوجاج الفتنة**»(٢٥).

فتنة الاستدراج

وهذه الفتنة هي فتنة الاستدراج التي افتتن الله تعالى بها المسلمين في مرحلة الفتوحات، فلم يفلح المسلمون مع الأسف يومئذٍ في تجاوزها، بل وسقطوا فيها، فأقبلوا على الدنيا وأعرضوا عن الآخرة، وأخذوا الدنيا من غير حلها وأسرفوا في ذلك، وتحول ذلك البيت المتواضع الذي كان يسكنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المدينة بجوار المسجد إلى القصور الحمراء والخضراء في دمشق، وغرناطة، وبغداد. وذلك الزهد الذي كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والخيرة من أصحابه إلى ترف، وبذخ، وإسراف، وإفساد في حياة السلاطين من بني أمية، وبني العباس الذين كانوا يصفون أنفسهم بأمراء المؤمنين وخلفاء رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فنخر في بنيانهم هذا الفساد، وأفقدهم قيمهم، وقوتهم، وإيمانهم، وصلابتهم، وتماسكهم، وأخلاقهم. [وكتب التاريخ ملأى بصور من حالات الترف والإسراف في حفلات الأعراس وغيرها من المناسبات التي يحتفل بها السلاطين].

عوامل التحصين في فتنة الضرّاء والسراء

في فتنة الضرّاء يجزع الناس، ويتعبون، ويأسون، ويجبنون. وهي نقاط سلبية خطرة في نفوس المؤمنين، ويتخذ الشيطان هذه النقاط مداخل إلى نفوس المؤمنين، ويثبطهم من خلالها، ويصدهم عن الله ورسوله والمؤمنين، ويجرهم إلى حياة الرخاء والعافية.

ولكي يقاوم الإنسان فتنة الضرّاء لابدَّ له من الذكر والتفويض والتوكل، والصبر والمقاومة، والسكينة. الذكر والتفويض والتوكل في علاقته بالله تعالى. والصبر والمقاومة في علاقته بالساحة ومعاناتها وعذابها وهي فتنة الضرّاء. والسكينة بعلاقته بنفسه.

وفي فتنة السرّاء يصيب الإنسان الترهّل والاسترخاء والترف والطيش والغرور والسكر، والعجب، والرياء، والطغيان والفساد، والكفر ﴿**إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**﴾.

وهي نقاط خطرة ومهلكة، ينفذ من خلالها الشيطان إلى نفوس الناس، ويطوعهم ويروّضهم لوساوسه وإغراءاته ويثيرهم ويحركهم كما يحب ويريد، ولكي يقاوم الإنسان فتنة السراء لابدَّ من الذكر والطاعة، والزهد والتقوى. الذكر والطاعة في علاقته بالله.

والزهد في علاقته بالدنيا وفتن السرّاء. والتقوى في علاقته بنفسه، وأهوائها، وميولها، وشهواتها.

فتنة الضراء والسراء في هذا العصر

وسوف يعود التاريخ مرة أخرى بنا إلى فتنة الضراء والسراء من جديد، وتتكرر دورة التاريخ من جديد، بعد انحسار الإسلام من الحياة وعودته إلى حياة المسلمين من جديد. إنَّ عودة الإسلام إلى الحياة يمر بظروف مشابهة لظروف ميلاد هذه الأمة، وهي ظروف البأساء والضراء.

وقد بدأنا نعيش الدعاة إلى الله ورسوله ظروف البأساء والضراء بشكل واضح في حياتنا المعاصرة، في كل مكان، وأصبحنا نألف في حياتنا اليومية الاضطهاد، والملاحقة، والمضايقة، والسجون، والتعذيب، والفرار من الظالمين، وتمزق الشمل، وفقدان الأمن وما أشبه ذلك.

وتجد في كثير من بلاد المسلمين حاكماً ظالماً، وتجد شباب المسلمين وفتيانهم يعيشون مرارة هذه المحنة ومعاناتها بكل المعاني. ولهم الله تعالى في هذه المحنة، وهو عزَّ شأنُه يسمعهم ويرعاهم في عذابهم ومحنتهم، ولن تطول محنتهم، وإن الصبح لقريب، ومن بعد هذه المحنة نصر إن شاء الله. ولكن بعد ذلك الضرّ فتنة من نوع آخر وهي فتنة السراء وهي أخطر من فتنة الضراء.

ولئن نجح أسلافنا في فتنة الضراء وسقطوا في فتنة السراء بعد ذلك، فعلينا أن نعدَّ أنفسنا من الآن لنتجاوز هذه الفتنة وتلك، ونحصّن أنفسنا ضدهما. ولعل من أبناء هذا الجيل من يعيش الفتنتين معاً.

ولكي نحصّن أنفسنا وأبناءنا من كلتا الفتنتين لابدَّ لنا من الاستعانة بالصبر والصلاة كما أمرنا الله تعالى: ﴿**اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ**﴾[٢٦] ونعمّق حالة الذكر والارتباط بالله في نفوسنا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَبِيراً**﴾[٢٧]. ونتزود بالتقوى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى**﴾[٢٨].

تقنين الفتنة وأسبابها

فتنة الدعوة

فتنة الدعوة والمواجهة فتنة شاملة مطلقة. ولا يمكن أن تنهض أمة برسالة الدعوة إلى الله تعالى دون أن يفتنهم الله تعالى بالبأساء والضراء في مواجهة المشركين. ولا يمكن أن تشقّ الدعوة طريقها إلى الناس دون أن تواجه العوائق والعقبات. وقد افتتن الله تعالى المسلمين في مكة وفي المدينة بالبأساء والضراء، كما افتتن قبلهم الأمم التي نهضت برسالة الدعوة إلى التوحيد. وهذه هي فتنة الدعوة. يقول تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٢٩].

فلا يكاد يتميّز الذين صدقوا عن الكاذبين إلا من خلال هذه الفتنة. وقد كانت هذه الفتنة جارية في الأمم السابقة، كما هي في هذه الأمة. ويقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[٣٠]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣١].

وفي هذه الآيات يؤكد الله تعالى المسائل التالية:

١ـ إن فتنة البأساء والضراء سنّة ثابتة في كل أمة تنهض في الأرض برسالة الدعوة إلى توحيد الله.

٢ـ والله تعالى بهذه السنّة يميّز بين الصادقين والكاذبين والضعفاء والصابرين.

٣ـ ولا تختص هذه السنة بهذه الأمة، فقد جرت في الأمم السابقة من قبل، مسّتهم البأساء والضراء حتّى زلزلوا، لولا أنّ الله تعالى ربط على قلوبهم وثبت أقدامهم على أرض المعركة. وهذه الفتنة ثابتة وشاملة، ما منها محيص.

فتنة الإعداد والتحضير للدعوة

من الفتن الشاملة فتنة الإعداد والتحضير للرسالات فلا يُرسل الله تعالى رسولاً إلا أخذ الناس قبل إرسال الرسل، أو مع إرسالهم بالبأساء والضراء، ليُعِدَّهم الله تعالى

لاستقبال الرسالة وقبول دعوة الله، وما ينشأ عنه في حياة الناس من مواجهة وقتال، وبأساء وضراء. يقول تعالى: ﴿ وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾[٣٢]، ﴿ وَما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنا أَهْلَها بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾[٣٣]. وهذه الفتنة كذلك عامة وشاملة لكل أمة يبعث إليها الله تعالى رسولاً، ويكلفها بالقيام بمسؤولية الدعوة إلى التوحيد.

العقوبة بالفتنة

ومن الفتن ما ليس من هذه ولا تلك وإنما هي من نوع العقوبة والعذاب، ونتيجة لما تكسب أيدي الناس من الإثم ومن هذه الفتن مضلات الفتن، التي تسلب الناس الرؤية والبصيرة، وتذرهم في ظلمات الفتنة، إلا من عصم الله تعالى. فإن هذه الفتن من العقوبة التي يستحقّها الناس على ما جنت أيديهم من الإثم. والقرآن الكريم صريح وواضح في ذلك: ﴿ أَ وَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنَّى هذا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣٤]، ﴿ ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾[٣٥]، ﴿ وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾[٣٦]، ﴿ فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ ﴾[٣٧].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن مضلّات الفتن التي حدثت في أيامه: «**فقال رسول الله: يا علي إن أمتي سيفتنون من بعدي. يا علي إن القوم سيفتنون بأموالهم، ويَمُنُّون بدينهم على ربهم، ويتمنّون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية، فيستحلّون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهديّة، والربا بالبيع. قلت: يا رسول الله فبأي المنازل أُنزلهم عند ذلك بمنزلة الردّة أم بمنزلة فتنة؟ فقال: بمنزلة فتنة**»[٣٨].

إذاً، تحدث مضلّات الفتن، وتتسع، وتتعاظم ويكثر فيها السقوط والهلاك والضلال، بموجب نظام وقانون وسنّة، كما تجري التفاعلات الفيزيائية بموجب نظام وقانون وسنة، بشكل دقيق، وبحسابات دقيقة. كذلك مضلّات الفتن لا تحدث اعتباطاً وعفواً، وليس من شيء يجري في هذا الكون بصورة عفوية، وإنما يكسب الناس هذه الفتن بما تجني أيديهم من الإثم.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في نشوء الفتنة وأسبابها وهو الخبير بها ومن معالم

الهدى فيها: «أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله، يتولى عليها رجال رجالاً. فلو أن الباطل خَلُصَ لم يخف على المرتادين...، ولكن يؤخذ من هذا ضغث، ومن هذا ضغث فيُمْزَجان. فهنا لك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى»(٣٩).

وعنه عليه السلام أيضاً: «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآنِ إلا رسمُه ومن الإسلام إلا اسمُهُ. مساجدُهُم يَومئذٍ عامرة من البناء، خراب من الهدى، سكّانها وعمّارها شرّ أهل الأرض. منهم تخرج الفتنة، .. يقول الله تعالى: فبي حلفت لأبعثنَّ على أولئك فتنة تترك الحليم فيها حيرانَ»(٤٠).

وفي الحديث القدسي من خطاب الله تعالى لموسى بن عمران: «واعلم أنَّ كل فتنة بدؤها حبّ الدنيا»(٤١).

عمومية نتائج الفتنة

إن للفتن أسباباً طبقاً لسنن الله تعالى، فلا تحدث في حياة الناس فتنة إلا بنظام وقانون وبما تكسب أيدي الناس، وبذلك تدخل الفتنة في دائرة التقنين. ولكن آثار الفتنة ونتائجها لا تخصّ الذين أوقدوا نارها وحدهم، وإنما تعمهم وغيرهم ممن لم يكن لهم دور في إشعال الفتنة. ومن الضروري أن نفهم الفتنة بهذه الصورة المقنّنة التي يرسمها القرآن من حيث المبادئ ومن حيث النتائج في الدنيا والآخرة.

١ـ فمن حيث المبادئ تحدث الفتنة بما تكسب أيدي الناس من إثم وظلم. إذا كانت مساحة الإثم والظلم كبيرة وواسعة في المجتمع: ﴿وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

٢ـ ولكن نتائج الفتنة لا تخص الذين ظلموا فقط، وإنما تعمّهم وغيرهم ممن لم يقترفوا إثماً ولا ظلماً. وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾(٤٢). فتشملهم محنة الفتنة، وابتلاء الفتنة، وإن لم يكن لهم دور في إشعال نارها.

٣ـ الفتنة ـ في هذه الحالة ـ تصيب دنياهم فقط، إذا تمسكوا بالتقوى والإخلاص، ولا تصيب آخرتهم.

فإن من خصائص القيامة الفرز والفصل، ومن أسماء القيامة (يوم الفصل). يقول

تعالى: ﴿هذا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[٤٣] و ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤٤] و ﴿وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ﴾[٤٥].

فلا تزر وازرة وزر أخرى يوم القيامة. يقول تعالى: ﴿وَ لا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْها وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾[٤٦]. يومئذٍ يمتاز المجرمين عن الصالحين ﴿وَ امْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونْ﴾، وتبلى السرائر ﴿يَوْمَ تُبْلِى السَرَائِرْ﴾[٤٧].

٤ـ وإذا كانت الفتنة تصيب المتقين في دنياهم، فلا تصيبهم في دينهم، ويجعل الله تعالى لهم من التقوى فرقاناً يعصمهم من الفتن. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا يَجْعَلْ لَكُمُ اللهَ فُرْقاناً﴾[٤٨]. ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «**اعلموا أنه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظلم**». وهذه نقاط وحقائق أساسية يرسمها القرآن للفتنة.

الآثار الإيجابية للفتنة

وإذا كانت الفتنة مصدر تضليل وسقوط وهلاك في حياة الكثيرين، فإنها في حياة الصالحين تمحيص وتهذيب. وعن هذا الدور المزدوج لفتنة القتال بين المؤمنين والكافرين يقول تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ﴾[٤٩].

وهي فتنة واحدة، فتنة السيف، والجروح ولكنها للمؤمنين تمحيص وتشذيب وتهذيب وتزكية، وللكافرين محق وسقوط وهلاك. وليس الفرق في الفتنة، ولكن الفرق فيمن تشمله الفتنة.

عن معمر بن خلاد: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: ﴿ألم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُم لا يُفْتَنُون﴾ ثمَّ قال لي: **ما الفتنة؟ قلت جعلت فداك: الفتنة الذي عندنا فتنة في الدين. فقال: يفتنون كما يفتن الذهب، ثمَّ قال: يخلصون كما يخلصون الذهب**»[٥٠].

وهذا التهذيب يتم في بعدين: بعد عمودي داخل نفوس المؤمنين، وبعد أفقي في المجتمع الإسلامي.

أمّا **البعد الأول**: فيوجد في نفوس المؤمنين خير وشرّ، وصلاح وفساد، ويقين وشكّ،

وتقوى وهوى، ولا تخلص مما فيها من الهوى والشك والإثرة والأنانية إلا في الفتنة، وذلك قوله عليه السلام: «يفتنون كما يفتن الذهب ويخلصون كما يخلص الذهب». وهذا هو البعد العمودي لدور الفتنة في نفوس المؤمنين.

أما **البعد الثاني**: فإن المجتمع خليط من المؤمنين والمنافقين، والأقوياء وضعفاء الإيمان، وأصحاب اليقين والبصيرة والمرتابين، وذوي العزائم والمتردّدين، ولا يستطيع أن ينهض المجتمع بهذا الخليط غير المتجانس بمسؤولية الدعوة إلى التوحيد وتقرير حاكمية الله على وجه الأرض، من دون أن يتم فرز هذا الخليط غير المتجانس بعضه عن بعض.

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «**تمنّوا الفتنة ففيها هلاك الجبابرة، وطهارة الأرض من الفسقة**»(٥١).

وإلى هذا الفرز والفصل يشير أمير المؤمنين عليه السلام فيما روى عنه الشريف الرضيّ في نهج البلاغة: «**ألا وإن بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّهُ (صلى الله عليه وآله)، والذي بعثهُ بالحقّ لتبلبلنَّ بلبلةً، ولتغربلنَّ غربلةً، ولتُساطنَّ سوط القِدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، وليسبقنَّ سابقون كانوا قصَّروا، وليُقصرنَّ سبّاقون كانوا سبقوا**»(٥٢). وكلام الإمام واضح أن الناس في هذه الفتنة يغربلون بغربال الفتنة فيصعد ناس إلى قمة المجتمع من قاعدة الهرم، ويهبط ناس من القمة إلى القاع، ويسبق ناس عرفوا بالقصور ويقصّر ناس عرفوا بالسبق، كما حدث ذلك بدء دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد رفع الله بالإسلام ناساً كانوا موضع احتقار الناس وامتهانهم، ووضع ناساً كانوا في قمة الهرم الاجتماعي يوم ذاك.

فالفتنة إذاً، خافضة رافعة، تخفض بناس، وترفع بآخرين، وهذا الخفض والرفع يتم ضمن سنن، ونظام إلهي في حياة الناس يكشف القرآن عنه الغطاء. وهذا هو البعد الثاني للتهذيب والتشذيب الذي يتم بالفتنة. ولربما يكون في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) التالي إشارة إلى هذين البعدين معاً، يقول عليه السلام: «**والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى تمحصوا**»(٥٣). ويقول عليه السلام: «**والله لتمحصنَّ، والله لتميّزنَّ، والله لتغربلنَّ**»(٥٤). والإمام الصادق يتحدث في هذين الحديثين عن فتنة آخر الزّمان. والتمحيص هو البعد الأول للتهذيب والتشذيب. والغربلة والتمييز هما البعد الثاني للتهذيب والتشذيب.

مضلاّت الفتن

مضلات الفتن من سنن الله تعالى في حياة الناس. ولهذه السنّة الإلهيّة نظام وقانون، شأن كل السنن الإلهيّة في التاريخ والمجتمع. وفي الفتن يتكوّن الرجال الأشداء الذين يزيلون الجبال من مواضعها، ويرقى الإنسان إلى الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[٥٥]. إلا أن الفتنة خافضة رافعة، وكما ترفع ناساً إلى الله تسقط ناساً وتهلكهم. وهذه ضريبة الخلقة والتكوين ليس عنها من محيص. وإذا حلت مضلاّت الفتنة بقوم سلبتهم بصائرهم وأفقدتهم صوابهم وبصائر قلوبهم إلا من عصم الله.

وقد ورد في الدعاء: «**اللهم إني أعوذ بك من مضلاّت الفتن**»، فإذا أعاذ الله تعالى عبداً من مضلاّت الفتن عصمه وأنار عقله وقلبه، فلا تنال منه الفتنة قليلاً ولا كثيراً. ولهذه العصمة أصول وقوانين كما للفتنة أصول وقوانين.

كيف تتكّون مضلاّت الفتنة

يقول الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «**إن الفتن تحوم كالرياح يصبن بلداً، ويخطئن أخرى**». أرأيتم العواصف الرملية التي تهب من بعيد، فتصيب بلدا وتخطئ آخر، كذلك الفتنة. ولهذه الإصابة والعدول سنن ونظام. ولا تصيب الفتنة قوماً صدفة، ولا يسلم قوم من الفتنة بصورة عفوية.

وعلينا أن نفهم الفتنة بهذه الصورة العلمية في نشوئها وتعاظمها وخسائرها وأرباحها وآثارها. فليس شيء في هذا الكون يحدث صدفة، ويتعاظم ويمتد، أو يتقلّص، وينقضي بصورة عفوية. فإن كل ما في هذا الكون يخضع للنظام والقانون، وسنن الله تعالى في الفيزياء والكيمياء لا تختلف عن سننه في التاريخ والمجتمع من هذه الحيثية. ومضلاّت الفتن واحدة من هذه السنن تحدث بقانون، وتتعاظم بنظام، وتصيب مجتمعاً، وتعدل عن آخر بنظام، ويسقط فيها ناس ويسلم منها آخرون بسبب وعلّة.

انقلاب في البصائر

إن مضلاّت الفتن تسلب الناس الرؤية؛ فلا يعود يعرف الإنسان في الفتنة الحق من الباطل، ولا الصراط المستقيم من سبل الشيطان، إلا من عصم الله. وهذه واحدة من خصائص الفتنة.

وقد تقلب الفتنة رؤية الإنسان، فيرى الحق باطلاً والباطل حقّاً، والهدى ضلالاً والضلال هدى، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً. وهذه الحالة أبلغ من انعدام الرؤية، وهي حالة الانقلاب في البصائر. إن الظلمة لا تزيد في الفيزياء على انعدام النور وهذه حالة أبلغ في الضلال من حالة انعدام الرؤية (تهبط فيها الرؤية بلغة الفيزياء إلى مادون الصفر). وقد كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يقول: «**أنا فقأت عين الفتنة**، يعني جعلتها عوراء، كي لا ينخدع بها الناس. فقام إليه رجل، فقال: حدثنا عن الفتنة. قال (عليه السلام): **إن الفتنة إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت نبّهت، يشبِّهن مقبلات، وينبِّهن مُدبِرات**».

وهي حالة غريبة في الفتنة. إذا أقبلت يلتبس على الإنسان فيعجب الإنسان، كيف التبس عليه هذا الأمر، فرآه بغير وجهه، بل رآه منكوساً بخلاف ما هو عليه. ولست أجد تفسيراً لما حصل للمسلمين صدر الإسلام من القتال غير ذلك. فلا نستطيع أن نفسّر قتال الناس لعليّ (عليه السلام)، وخذلان الناس للحسن (عليه السلام) وقتالهم للحسين وإيثارهم لمعاوية وابنه يزيد على علي والحسن والحسين (عليهم السلام) بغير ذلك.

فلا يكاد يؤثر أحد معاوية بن أبي سفيان على علي والحسن (عليهم السلام)، ولا يزيد بن معاوية على الحسين (عليه السلام)، إلا إذا انتكست لديه الرؤية، فأصبح يرى الأشياء مقلوبة وهي حالة غريبة في التاريخ والمجتمع. وعن هذه الحالة يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «**ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً**».

ومن قبل وقف إبراهيم (عليه السلام) وحده يدعو إلى الله، ووقف الناس يتفرجون كيف يلقي نمرودُ إبراهيمَ (عليه السلام) في النار ليحرقه فيها، فكان إبراهيم (عليه السلام) وحده في هذه الفتنة أُمة: ﴿**إن إبراهيم كان أُمة قانتاً لله**﴾ والناس كلهم أمةً أخرى.

انقلاب في المواقف

ويتبع الانقلاب في البصائر انقلاب في المواقف، ويتحول الإنسان من موقف إلى موقف، من جبهة إلى جبهة، ومن معسكر إلى معسكر، انقلاباً مفاجئاً تبعاً لما يصيبه من الانقلاب في الرؤية والبصيرة. روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الفتن التي تصيب الناس من بعده: «**ليغشينَّ من بعدي فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل**»(٥٦).

مفاجأة في الانقلاب والرّدة (يصبح مؤمناً ويمسي كافراً) واسترخاص للدين، وهو أعزّ ما عند الإنسان، حتّى أن أقواماً يبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أيضاً في الفتنة التي تهجم على الناس من بعده: «**ستكون فتن، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً إلا من أحياه الله تعالى بالعلم**»(٥٧).

فإذا أحيى الله تعالى قلب عبده بالعلم، وجعل فيه نوراً من عنده وبصيرة، وعصمه من الفتنة فلا تضرّه الفتن. وهذه الحالة حالة انقلاب البصائر والمواقف، أشدّ ما يكون على الناس من الفتنة.

ورحم الله الفرزدق الشاعر قال للحسين (عليه السلام) عندما سأله عن الناس في العراق من خلفه: «**قلوبهم معك وسيوفهم عليك**»، وهي حالة انفصال البصائر عن المواقف (السيوف عن القلوب) والبصيرة والموقف أمر واحد فإذا انشطرا شطرين، انشطرت معهما شخصية الإنسان.

إلا أن الذي يرويه الرواة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حول ما يحدث من بعده من الفتن أعظم من ذلك؛ لأنها من الانقلاب في البصائر والمواقف معاً حيث يقول (صلى الله عليه وآله): «**ليغشينَّ من بعدي فتن كقطع الليل المظلم**»، وهذا من الانقلاب في «البصائر».

فتنة بني أمية والخوارج

وقد حدثت بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتن كقطع الليل المظلم، كما حدّثنا بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فَقَدَ فيها المسلمون الكثير من رشدهم ووعيهم، ودخلوا في مداخل ضلال وتيه، إلا من عصم الله تعالى.

وقد أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) المسلمين بذلك في مواقع كثيرة، ونهاهم أن يعودوا كفاراً من بعده، يقتل بعضهم بعضاً، وبيّن لهم أن الفتن مقبلة عليهم كقطع الليل المظلم.

عن زينب بنت جحش أنها قالت: «**استيقظ رسول الله من نومه محمّراً وجهه، وهو يقول: لا اله إلا الله ويل للعرب من شرٍ قد اقترب. فُتِحَ اليوم ردم يأجوج ومأجوج. وعقد بيديه عشرة. قالت زينب: قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: إذا كثرَ الخبث**»(٥٨).

عن أبي أمامة عن رسول الله: «**ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً إلا من أحياه الله بالعلم**»(٥٩).

وعن عبد الله بن عمر إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي يغربل الناس فيه غربلة، وتبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم، فاختلفوا وكانوا هكذا... وشبك من إصبعيه»(٦٠).

وروى مسلم في صحيحه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يكون بعدي أمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنّون بسنّتي، وستقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس»(٦١).

وروى ابن ماجة عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً»(٦٢). وعن محمد بن مسلمة إن رسول الله قال: «إنها ستكون فتن وفرقة وخلاف»(٦٣).

وعن هذه الفتن يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): «ألا إن أخوف الفتن عندي فتنة بني أمية». فقد كانت فتنة بني أمية فتنة عمياء. وفي هذه الفتنة استعاد بنو أمية الكثير من الأعراف والأفكار الجاهلية إلى الإسلام من خلال موقع خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كما استعادوا مواقعهم الاجتماعية والسياسية التي سلبهم الإسلام، فحلّ معاوية ويزيد بما يحملان من أعراف وأفكار وتصورات وأفعال جاهلية محل رسول الله في الحكم والولاية.

وكان من أهم نتائج «صفين» و «الطف» إلغاء شرعية خلافة آل أبي سفيان، وإحباط تأثير هذه الفتنة على بصائر المسلمين، وإن خرج معاوية ويزيد منتصرين من الناحية العسكرية على عليّ والحسن والحسين عليهم السلام وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا فقأت عين الفتنة».

والفتنة الأخرى في أيام حكم الإمام (عليه السلام) كانت فتنة الخوارج. وقد كانت هذه الفتنة تركيباً معقداً من مجموعة من الفتن والأفعال وردود الأفعال، انتهت إلى «النهروان». فكانت هذه الفتنة أوجع لقلب أمير المؤمنين (عليه السلام) من فتنة صفين؛ لأن ضحايا النهروان ضحايا الجهل، أما ضحايا صفين فكانوا ضحايا الهوى والسلطة، وكان الإمام (عليه السلام) يقول: «ليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأصابه». وفتنة النهروان كانت من النوع الأول، بينما كانت فتنة صفين من النوع الثاني.

ومهما يكن من أمر. فقد كان من تقدير الله تعالى أن يعيش الإمام هذه الفتن الثلاثة بكل مآسيها ومصائبها، وهي فتنة «الجمل» و «صفين» و «نهروان» وجعله الله في هذه الفتن الثلاثة إمام هدى للمسلمين ومعلماً واضحاً من معالم الحقّ. فكان يقول (عليه السلام) في الفتن التي حدثت أيام حكمه: «**فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون**»، مشيراً إلى الفتن الثلاثة التي حدثت أيام حكمه في الجمل وصفين ونهروان.

وكان (عليه السلام) يقول: «**أنا فقأت عين الفتنة**». ولم يكن غير الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) من يتمكن يومئذ أن يفقأ عين الفتنة.

الموقف من الفتن

الموقف الشرعي من الفتنة

لا أحد يستطيع أن يمنع الفتنة، ويحول بينها وبين الناس، إذا أراد الله تعالى أن تحل الفتنة بأمة من الناس. فما هو الموقف الصحيح، إذاً تجاهها؟

الموقف الذي يقرره القرآن الكريم من الفتنة هو مقاومة المفسدين وأئمة الظلم وسبل الشيطان في الفتنة. يقول تعالى: ﴿ **وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾(٦٤)، ويقول تعالى: ﴿ **وَ لا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَ لا يُصْلِحُونَ** ﴾(٦٥). ويقول تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً** ﴾(٦٦). ويقول تعالى: ﴿ **وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً** ﴾(٦٧). ويقول تعالى: ﴿ **وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾(٦٨). ويقول تعالى: ﴿ **أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾(٦٩).

والآيات بهذا المعنى كثيرة. وفي بعضها كفاية لمن أراد الحق والهدى في ظلمات الفتنة. فإذا حلّت الفتنة بطائفة من المسلمين، فلا يصح ولا يجوز أن يستسلموا للظالم ويدخلوا في حزبه وجنده، ولا يصح ولا يجوز أن يتهرب الإنسان من مواجهة الفتنة، ويُغيّب وجهه من ساحتها، فإن الساحة التي تحل فيها الفتنة، أو تحرقها هي ساحتنا التي تحترق بالفتنة، فلا يجوز أن يكون الإنسان وقوداً لهذا الحريق، ولا يجوز أن يقف الإنسان منه موقف المتفرج، فإن الساحة ساحتنا والبيت بيتنا؛ ولذلك والموقف الصحيح هو المقاومة

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، والتحذير والإنذار، ما يسع الإنسان ذلك، وقبول كل التبعات السلبية والمضايقات التي يتعرض لها من ناحية الظالمين في هذه الحالة.

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**إن رحى الإسلام ستدور، فحيث ما دار القرآن فدوروا به. يوشك السلطان والقرآن أن يقتتلا ويتفرقا، إنه سيكون عليكم ملوك يحكمون لكم بحكم ولهم بغيره، فإن أطعتموهم أضلوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم. قالوا: يا رسول الله فكيف بنا إن أدركنا ذلك؟ قال: تكونون كأصحاب عيسى (عليه السلام) نُشروا بالمناشير، ورفعوا على الخشب. موت في طاعة خير من حياة في معصية**»(٧٠).

وروى الترمذي عن طارق بن شهاب قال: «أول من قدّم الخطبة قبل الصلاة مروان. فقام رجل، فقال لمروان: خالفت السنة. فقال: يا فلان أترك، ما هنالك». فقال أبو سعيد: «أمّا هذا فقد قضى ما عليه. سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «**من رأى منكراً فلينكر بيده، ومن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح(٧١).

وروى الترمذي في السنن عن أبي سعيد الخُدري: «إن النبي صلى الله عليه وآله قال: **إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**»(٧٢) ورواه أيضاً ابن ماجة في السنن(٧٣).

وروى المتقي الهندي في الكنز: «**أحبّ الجهاد إلى الله كلمة حقّ تقال لإمام جائر**» والأحاديث بهذا المعنى كثيرة، وهذا هو روح الإسلام في الموقف من الظالمين أمّا المواقف المنحرفة فهي:

الاستسلام للفتنة

روى ابن ماجة عن عبد الرحمن بن عبد ربّ الكعبة قال انتهيت إلى عبد الله بن عمرو بن العاص وهو جالس في ظلّ الكعبة، والناس مجتمعون عليه فسمعته يقول: «بَيْنا نحن مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سفر إذ نزل منزلاً فمنا من يضرب خباءه ومنا من يتنصّل إذ نادى مناديه، الصلاة جامعة، فاجتمعنا فقام رسول (صلى الله عليه وآله) فخطبنا فقال: **إنَّ هذه أمّتكم جعلت عافيتها في أولها وإنَّ آخرهم يصيبهم بلاء وأمور تنكرونها ثمَّ يجيء فتن يرقّق بعضها بعضاً، فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ثمَّ تنكشف، فمن سرّه أن يزحزح عن النار ويدخل الجنّة، فلتدركه موتته، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر. وليأت آت إلى الناس الذي يحبّ أن يأتوا إليه. ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يمينه وثمرة**

قلبه، فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر. قال فأدخلت رأسي من بين الناس، فقلت: **أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله** فأشار بيده إلى أذنيه **فقال سمعته أذناي ووعاه قلبي**»(٧٤).

ولا نريد أن نقف طويلاً عند مناقشة هذا الحديث فإنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص هو الذي وقف إلى جانب أبيه عمرو بن العاص في فتنة صفّين يقاتل أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلا غرو إذا كان يدعو إلى طاعة معاوية ويزيد ويقول: «**من بايع إماماً فأعطاه صفقة يمينه وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع**».

وروى مسلم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي، وستقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع**»(٧٥).

وروى العجاج الزاخر، قال: «قال أبو هريرة: ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق، قال: يوشك أن يأتيك بقعان الشام فيأخذوا صدقتك. فإذا أتوك فتلقّهم بها، فإذا دخلوها فكن في أقاصيها وخلِّ عنهم وعنها وإيّاك وأن تسبهم، فإنّك إن سببتهم ذهب أجرك، وأخذوا صدقتك وإن صبرت جاءت في ميزانك يوم القيامة»(٧٦).

وعن زيد بن وهب قال: «سمعت عبد الله، قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنّكم سترون بعدي أثرةً وأموراً تنكرونها. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدّوا إليهم حقّهم وسلوا الله حقّكم**»(٧٧).

ولست أعرف أمراً أحب إلى نفوس هؤلاء الظالمين وأرضى لمطامعهم من أن يؤدي الناس إليهم حقوقهم ويسألون الله تعالى بعد ذلك ما يشاؤون من حقوقهم. والحديث في ذلك كثير في المجامع الحديثية. وفي رأينا أنّ هذه الأحاديث موضوعة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) منحولة، وقد عرفنا حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم الركون إلى الظالمين والوقوف في وجههم بكلمة الحقّ.

الموقف الانهزامي من الفتنة

والموقف الآخر من الفتنة الموقف الانهزامي القائم على الفرار من المسؤولية وهو موقف يرفضه الإسلام، فيما نعرف نحن من هذا الدين من تعميق الإحساس بالمسؤولية في

نفوس المسلمين والتأكيد على الموقف المسؤول في كل فتنة ورفض الهزيمة من الفتنة. وقد روى الرواة في عصور الفتنة روايات كثيرة لتبرير الفرار من الفتنة ننقل فيما يلي طرفاً منها:

عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال: «**قال رسول الله: كيف أنت وقتلاً يصيب الناس حتّى تغرق حجارة الزيت بالدم؟ قلت: ما خار الله لي ورسوله، قال: إلحق بمن أنت منه، قلت: يا رسول الله: أفلا آخذ بسيفي فأضرب به من فعل ذلك؟ قال: شاركت القوم إذن ولكن ادخل بيتك، قلت: يا رسول الله فإن دُخِل بيتي؟ قال: إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك فيبوء بإثمه وإثمك، فيكون من أصحاب النار**»(٧٨).

ولسنا نشك في أنَّ أبا ذر لا يمكن أن يتحدّث بمثل هذا الحديث، ولو كان أبو ذر من أولئك الذين يرون الفرار من الفتنة هو الموقف، لم يقف موقفه المعروف من فتنة المال في عصر عثمان بن عفان، ولم يلجأ الخليفة لإبعاده إلى الربذة، ولعاش في داره في أمان وعافية، وأغلق باب داره على نفسه حتّى لا تصيبه الفتنة.

وروت عُدَيسة بنت أُهبان، قالت: «لما جاء علي بن أبي طالب هاهنا البصرة دخل على أبي فقال: **يا أبا مسلم أتعينني على هؤلاء القوم؟ قال: بلى، فدعا جارية له، فقال: يا جارية أخرجي سيفي، قال: فأخرجته فسلّ منه قدر شبر فإذا هو خشب، فقال: إنَّ خليلي وابن عمّك (صلى الله عليه وآله) عَهِد إليَّ إذا كانت الفتنة بين المسلمين فأتخذ سيفاً من خشب فإن شئت خرجت معك، قال: لا حاجة لي فيك وفي سيفك**»(٧٩).

وروى أبو موسى الأشعري قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **إنَّ بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسّروا قِسيّكم، وقطّعوا أوتاركم، وأضربوا بسيوفكم الحجارة**»(٨٠).

وعن محمد بن مسلم أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**إنّها ستكون فتنة وفُرقة واختلاف فإذا كان كذلك فأت بسيفك أحداً، فاضربه حتّى ينقطع، ثمَّ اجلس في بيتك حتّى تأتيك يد خاطئة أو منيّة قاضية**»(٨١).

وعن ابن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع، والمضطجع فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي...**»(٨٢).

كن في الفتنة كابن اللبون

ومما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في الموقف من الفتن الكلمة المشهورة التي يرويها الشريف الرضي (قدّس سره الشريف) في نهج البلاغة: «**كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب**». وإذا صحّت نسبة هذه الكلمة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلابدَّ أن يكون مقصود الإمام منها أحد أمرين: إمّا الفتنة بين طرفين يتكالبان على الدنيا وكلاهما باطل إذا كان المؤمن لا يتمكن من إزالتهما جميعاً من الساحة.

وإمّا أن يكون مقصود الإمام أن لا يعطي الإنسان من نفسه للباطل شيئاً في الفتنة، فإنَّ المؤمن ضنين بنفسه في الفتنة لا يعطي من نفسه ودينه وآخرته للأطراف الباطلة في الفتنة، ولا يأذن أن تحرقه الفتنة، ببيع دينه فيها بقليل من متاع الدنيا يغريه به أئمّة الباطل، وهذا التوجيه أشبه في كلام الإمام (عليه السلام) من التوجيه الأول.

والفتنة تحرق طائفتين وتسلم منها طائفة، تحرق الذين يركبون موجة الفتنة، كما تحرق المتفرجين على ملعب الفتنة، ولا يسلم منها غير أولئك الذين يتعاملون معها من موقع المسؤولية الشرعية ويقاومون الباطل في هذا الصراع ما وسعهم ذلك.

الموقف التبريري للفتنة

وهناك موقف آخر ابتدعه بعض علماء التبرير والتصحيح، لتصحيح عمل كل الأطراف المشتركة في الفتنة من حقّ وباطل، والتخلّص من تبعة إدانة طرف من الأطراف المشاركة في الفتنة. وإليك نماذج من هذه المواقف الغريبة من الفتنة. روى أبو بردة قال: جعلت رؤوس هذه الخوارج تجيء، فأقول إلى النار، فقال لي عبد الله بن يزيد: ما يدريك؟ سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «**جعل الله عذاب هذه الأمّة في دنياهم**»(٨٣). وعن عبد الله بن يزيد الحظمي، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **عذاب أمّتي في دنياها**»(٨٤). وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**أمّتي مرحومة قد رفع عنهم العذاب إلا عذابهم أنفسهم بأيديهم**»(٨٥).

ولسنا نحتاج إلى مناقشة هذه الروايات من حيث السند والمتن والدلالة، ولاسهم أحد من الصحابة والتابعين بالخصوص في انتحال هذه الروايات على رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا من عرفنا منه ميلاً إلى بني أمية، ولكننا على يقين بأنَّ هذه الروايات تعارض ما عرفناه من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) من وجوب الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر باليد، وباللسان، وبالقلب، وجهاد الظالمين وحرمة الركون إلى الظالمين، وتحريم اتباع المسرفين، ومن يعرف روح هذا الدين من خلال كتاب الله وما صحّ وتواتر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يطمئن إلى أنّ هذه الأحاديث منحولة موضوعة وهو منها بريء.

معالم الهدى في الفتن

والله تعالى بعباده رؤوفٌ رحيم، يفتتن الناس بالخير والشرّ: ﴿وَنَبْلُوَهُمْ بَالْخَيْرِ وَالشَرِّ فِتْنَةً﴾ ولكن لا يكلهم إلى أنفسهم، ولا يمكّن الشيطان منهم، من جعل للشيطان على نفسه سبيلاً: ﴿إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ﴾[٨٦]، فإذا افتتن الله تعالى عباده بالفتنة جعل لهم في الفتنة من الهداة الصالحين من عباده معلّمين يعلّمونهم كيف يعملون في الفتنة وجعل لهم فيها معالم تعرف بها الناس الحقّ من الباطل، ويهتدون بهم، كما يهتدي الناس بالنجوم: ﴿وَعَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٨٧].

علي (عليه السلام) من معالم الهدى في الفتن

ومن معالم الهدى في ظلمات الفتن علي بن أبي طالب، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرى فيما أراه الله تعالى ما سوف يقع في أمته من بعده من الفتن.

فكان يُحدّث الناس بما يحدث لهم من بعده من الفتن، وكان يحدّثهم بأنّ الله تعالى جعل لهم من بعده علي بن أبي طالب علامة بين الحقّ والباطل فمن أراد الحقّ وقف معه في كل موقف اختلفت فيه مذاهب الناس، وقد عرف المسلمون يومئذٍ أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) من معالم الهدى في مضلاّت الفتن.

وإليك طائفة من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا الشأن. روى الحافظ ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» عن إسحاق بن بشير عن خالد بن الحارث عن عوف عن الحسن عن أبي ليلي الغفاري قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «**ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب**»[٨٨]. وروى أخطب خوارزم في «المناقب» عن أبي ليلي الغفاري: «**سيكون بعدي فتنة، فإذا كان بعدي ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنّه الفارق بين الحقّ والباطل**»[٨٩]. وروى محبّ الدين الطبري في «ذخائر العقبى» عن أبي ذر قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي: «**أنت الصديق الأكبر وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحقّ والباطل**»[٩٠]. وروى الحموييني في «فرائد

السمطين» بإسناده عن أبي ذر، قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي: «**أنت الفاروق الذي يفرق بين الباطل والحقّ**»(٩١). وروى أبو بكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» عن أبي ذر وسلمان قالا: أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) بيد علي (عليه السلام) فقال: «**... هذا فاروق هذه الأمّة يفرّق بين الحقّ والباطل**»(٩٢).

وروى ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» عن ابن عبّاس: «**ستكون فتنة فمن أدركها فعليه بخصلتين: كتاب الله وعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول وهو آخذ بيد علي (عليه السلام): «هو فاروق هذه الأمّة يفرق بين الحقّ والباطل**»(٩٣). وروي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقول: «**إنّ علياً مع الحقّ والحقّ مع علي**»، بألفاظ مختلفة وإليك بعضها.

روى الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» عمن روى عنه عن أمّ سلمة، قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «**علي مع الحقّ والحقّ مع علي ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة**»(٩٤). وروى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن أم سلمة إنّ النبيّ قال لعلي: «**أنت مع الحقّ والحقّ معك حيثما دار**»(٩٥). وروى الحموينى الشافعي في «فرائد السمطين» عن أمّ سلمة أنّها قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «**علي مع الحقّ والقرآن، والحقّ والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»(٩٦).

وروي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يدعو لعلي أن يدير الله الحقّ معه. وروى الحافظ الترمذي في الصحيح عن علي (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**رحم الله علياً، اللهم أدر الحقّ معه حيثما دار**»(٩٧).

عمّار بن ياسر من معالم الهدى في الفتن

ومن معالم الهدى في الفتن عمّار بن ياسر (رحمه الله) جعله الله تعالى معلماً من معالم الهدى في ظلمات الفتنة، وحدّث بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وصحّ عنه الحديث في ذلك وتواترت عنه الرواية في ذلك. وإليك طرفاً من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عمّار رواها الشيخ الأميني (رحمه الله) في «الغدير» الجزء التاسع، ص ١٢ـ ٨٢، منها ما أخرجه ابن عساكر من طريق علي: «**عمّار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه، وخلط الإيمان بلحمه ودمه، يزول مع الحقّ حيث زال، وليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً**»(٩٨). وأخرج ابن سعد في الطبقات مرفوعاً: «**إنّ عمّاراً مع الحقّ والحقّ معه يدور**

عمّار مع الحقّ أينما دار، وقاتل عمّار في النّار»[٩٩]. وأخرج الطبراني والبيهقي والحاكم من طريق ابن مسعود مرفوعاً: «إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحقّ»[١٠٠].

وجاء رجل إلى ابن مسعود فقال: «أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع؟ قال: عليك بكتاب الله. قال: أرأيت أن جاء قوم كلّهم يدعون إلى كتاب الله؟ فقال: سمعت رسول الله يقول: إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحقّ».

وأخرج أبو عمر في «الاستيعاب» من طريق حُذيفة: «عليكم بابن سميّة، فإنّه لن يفارق الحقّ حتّى يموت، أو قال فإنّه يدور مع الحقّ حيث دار»[١٠١]. وعن عائشة مرفوعاً: «عمّار ما عرض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما». ومن طريق عائشة: «لا يخيّر بين أمرين إلا اختار أرشدهما»، أو «ما خُيّر بين أمرين إلا اختار أرشدهما»[١٠٢].

وأخرج البزاز من طريق علي (عليه السلام) مرفوعاً: «دم عمّار ولحمه حرام على النار أن تطعمه» أو «أن تأكله أو تمسّه»[١٠٣]. وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما لقريش وعمّار، يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار قاتله وسالبه في النار»[١٠٤].

وعن خالد مرفوعاً: «من عادى عمّاراً عاداه الله، ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله»[١٠٥]. صحّحه الحاكم والذهبي والهيثمي. وفي لفظ الطبراني: «من يعادي عمّاراً يعاديه الله، ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله، ومن يسب عمّاراً يسبّه الله، ومن يسفّه عمّاراً يسفّه الله، ومن يحقّر عماراً يحقّره الله».

وروي أنّه قيل لحذيفة: إنّ عثمان قد قُتل فما تأمرنا؟ قال: «الزموا عمّاراً، قيل: إنّ عمّاراً لا يفارق عليّاً؟ قال: إنّ الحسد هو أهلك للجسد، وإنّما ينفّركم من عمّار قربه من علي، فوالله لعليّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب والسحاب، وإنّ عمّاراً من الأخيار»[١٠٦].

وقد رُوِي متواتراً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بطرق كثيرة صحّ جملة منها: «إنّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية».

وإليك بعض ألفاظه من كتاب «الغدير»: «ويحك يا ابن سميّة تقتلك الفئة الباغية» و«تقتل عمّاراً الفئة الباغية وقاتله في النار» و «ويح عمّار أو ويح ابن سميّة تقتله الفئة الباغية» و «تقتل عمّاراً الفئة الباغية» و «تقتلك الفئة الباغية» و«قاتل عمّار في النار» و«يقتل عمّاراً الفئة الباغية عن الطريق، وإن آخر رزقه من الدنيا ضياح من لبن» و «أخبرني حبيبي (صلى الله عليه وآله) أنّه تقتلني الفئة الباغية وإنّ آخر زادي مذقة من لبن» و «إنك

لن تموت حتّى تقتلك الفئة الباغية الناكبة عن الحقّ، يكون آخر زادك من الدنيا شربةٌ لبن» و«ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار» و «ابن سميّة تقتله الفئة الباغية، قاتله وسالبه في النار».

وفي لفظ عائشة: «اللهم بارك في عمّار، ويحك ابن سميّة تقتلك الفئة الباغية وآخر زادك من الدنيا ضياح من لبن»(١٠٧).

التبادل بين الحق وأهل الحق

بين الحق وأهل الحق تبادل في الدلالة. فقد جعل الله تعالى أهل الحقّ دليلاً على الحقّ كما حدّث رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنَّ عليّاً (عليه السلام) وعمّاراً (قدّس سره الشريف) من معالم الحقّ. وجعل الله الحقّ دليلا على أهله وللحق نور يميّز به الناس أهله.

وهذا من رقائق معارف القرآن، فقد عرّف الله تعالى في كتابه الصراط المستقيم بالذي أنعم الله عليهم، وسبل الشيطان بالمغضوبين والضالين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضَّالِّينَ﴾.

والجملة الثانية ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ...﴾ وصف وبيان للجملة الأولى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. وذكر الله تعالى في كتابه في سورة الكهف قصّة لقاء موسى بن عمران بالعبد العالم الذي آتاه الله من لدنه علماً بتفصيل. والغاية من هذه القصّة ـ والله العالم ـ أن يتعلّم موسى بن عمران (عليه السلام) من ربّه كيف يهتدي بأهل الحق إلى الحقّ، وكيف يجعل من أهل الحقّ دليلاً على الحقّ، إن كان لا يحيط به خُبراً.

هذا والله تعالى عاصم عبده وكليمه موسى بن عمران (عليه السلام)من الجهل والهوى والخطأ. ومن نماذج الاهتداء بالحقّ إلى أهل الحقّ قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾(١٠٨)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس قَدْ جاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾(١٠٩)، ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لما فِي الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١١٠)، ﴿كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(١١١)، ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾(١١٢)، ﴿وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينْ﴾(١١٣)، ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(١١٤)، ﴿وَ بِالحقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً﴾(١١٥).

وعلى هذا النهج وردت آيات كثيرة في القرآن تلتقي عند مفهوم واحد، وهو الاهتداء بما في القرآن من الحقّ، إلى أنَّ هذا الكتاب حقّ من عند الله، ومن جاء به أُرسل من عند الله بهذا الحقّ؛ ودليل ذلك ما في هذا الكتاب من بيان وهدى وموعظة، وما في هذا الكتاب من وحدة وانسجام في الأفكار والمفاهيم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾.

وما في هذا الكتاب من برهان ونور وبيان، وما فيه من شفاء وهدىً ورحمة للمؤمنين، وما فيه من أحكام وتفصيل في الآيات، وما فيه من هدى وبشرى وتبيان لكل شيء، وما فيه من الحقّ الذي لا يشوبه الباطل، وما فيه من قدرة عالية لا نظير لها في تحدّي الناس من أن يأتوا بمثله بل بسورة منه ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً؛ كل ذلك وغيره من الحقّ دليل على أنَّ هذا القرآن حقّ من عند الله ومن جاء به أُرسل بالحق من عند الله. وهذا نحو آخر من الدلالة: دلالة الحقّ على أهله، مقابل دلالة أهل الحق على الحق.

الهوامش

١ـ **الجامع الصغير**، بشرح المناوي، ج٢، ص٢٢٠، ط ١٣٧٣.
٢ـ سورة يوسف: الآية ٥٣.
٣ـ سورة النازعات: الآية ٣٩ – ٤٠.
٤ـ سورة الفرقان: الآية ٢٠.
٥ـ **كنز العمال**، ح رقم ٢٥٠٦٣.
٦ـ سورة الأنفال: الآية ٢٨.
٧ـ سورة التغابن: الآية ١٥.
٨ـ **كنز العمال**، ح رقم ٤٤٤٩٠.
٩ـ نهج البلاغة، خطبة ١٦٠.
١٠ـ الترغيب والترهيب، ج٤، ص١٧٨.
١١ـ نهج البلاغة، حكمة رقم ٣٢٢.
١٢ـ **بحار الأنوار**، ج ٥، ص٢١٦.
١٣ـ المصدرنفسه.
١٤ـ بحار الأنوار، ج٥، ص٢١٧.
١٥ـ المصدرنفسه.
١٦ـ سورة البقرة: الآية ١٥٥.
١٧ـ سورة الأعراف: الآية ٤٩.
١٨ـ سورة آل عمران: الآية ١٤.
١٩ـ سورة التوبة: الآية ٤٢.
٢٠ـ سورة الأحزاب: الآية ١٩.
٢١ـ سورة الأنبياء: الآية ٣٥.
٢٢ـ **الترغيب والترهيب**، ج٤، ص١٨٤.
٢٣ـ **نور الثقلين**، ج٥، ص١٧.
٢٤ـ **نهج البلاغة**، صبحي الصالح، ط رقم ٢٧٧.
٢٥ـ **نهج البلاغة**، صبحي الصالح، الخطبة، ٢١٠.
٢٦ـ سورة البقرة: الآية ١٥٣.
٢٧ـ سورة الأحزاب: الآية ٤٧.
٢٨ـ سورة البقرة: الآية ١٩٧.
٢٩ـ سورة العنكبوت: الآية ٣.
٣٠ـ سورة البقرة: الآية ٢١٤.
٣١ـ سورة التوبة: الآية ١٦.
٣٢ـ سورة الأنعام: الآية ٤٢.
٣٣ـ سورة الأعراف: الآية ٩٤.
٣٤ـ سورة آل عمران: الآية ١٦٥.
٣٥ـ سورة النساء: الآية ٧٧.

٣٦ ـ سورة الشورى: الآية ٣٠.
٣٧ ـ سورة الصف: الآية ٥.
٣٨ ـ نهج البلاغة، خطبة ١٥٦.
٣٩ ـ نهج البلاغة، خطبة ٥٠.
٤٠ ـ نهج البلاغة، حكمة ٣٦٩.
٤١ ـ بحار الأنوار، ج٧٣، ص٣٥٤.
٤٢ ـ سورة الأنفال: الآية ٢٥.
٤٣ ـ سورة الصافات: الآية ١٢.
٤٤ ـ سورة الدّخان: الآية ٤٠.
٤٥ ـ سورة المرسلات: الآية ٤١.
٤٦ ـ سورة الأنعام: الآية ١٦٤.
٤٧ ـ سورة الطارق: الآية ٩.
٤٨ ـ سورة الأنفال: الآية ٩.
٤٩ ـ سورة آل عمران: الآية ١٣٩ـ ١٤١.
٥٠ ـ بحار الأنوار، ج٥، ص٢١٩.
٥١ ـ بحار الأنوار، ج٩٣، ص٣٢٦.
٥٢ ـ نهج البلاغة، ١٦، وبحار الأنوار، ج٥، ص٢١٨.
٥٣ ـ بحار الأنوار، ج٥، ص٢١٩.
٥٤ ـ بحار الأنوار، ج٥، ص٢١٦.
٥٥ ـ سورة البقرة: الآية ٢١٤.
٥٦ ـ المتقي الهندي الحنفي، كنز العمّال.
٥٧ ـ المصدر نفسه.
٥٨ ـ سنن ابن ماجة، ح رقم ٣٩٥٣، ص١٣٥.
٥٩ ـ سنن ابن ماجة، ح رقم ٣٩٥٤.
٦٠ ـ سنن ابن ماجة، ح رقم ٣٩٥٨.
٦١ ـ صحيح مسلم، ح، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن.
٦٢ ـ سنن ابن ماجة، ح رقم ٣٩٦١.
٦٣ ـ سنن ابن ماجة، ح رقم ٣٩٦٢.
٦٤ ـ سورة هود: الآية ١١٣.
٦٥ ـ سورة الشعراء: الآية ١٥١ـ ١٥٢.
٦٦ ـ سورة الإنسان: الآية ٤٢.
٦٧ ـ سورة النساء: الآية ١١٥.
٦٨ ـ سورة الكهف: الآية ٢٨.
٦٩ ـ سورة النساء: الآية ٦٠.
٧٠ ـ الدرّ المنثور، ج٣، ص٥١٢، في تفسير الآية ٧٨ من سورة المائدة.
٧١ ـ سنن الترمذي، ج٤، ص٤٦٩ ـ ٤٧٠، مطبعة مصطفى البابي، حديث ٢١٧٢.
٧٢ ـ سنن الترمذي، ج٤، ص ٤٧١، ح رقم ٢١٧٤.

٧٣ ـ **سنن ابن ماجة**، ج٢ ص١٣٢٩، ح رقم ٤٠١١.
٧٤ ـ **سنن ابن ماجة**، ج١، ص١٣٠٦ـ١٣٠٧، ح ٣٩٥٦.
٧٥ ـ صحيح مسلم، ٦/٢٠، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن.
٧٦ ـ **الشعر والشعراء** لابن قتيبة.
٧٧ ـ **صحيح البخاري**، ج٤، ص ١٨١، كتاب الفتن، ط مصر ١٢٨٦هـ.
٧٨ ـ **سنن ابن ماجة**، ج٢،ص ١٣٠٨، ح رقم ٣٩٥٨.
٧٩ ـ **سنن ابن ماجة**، ج٢، ص١٣٠٩، ح رقم٣٩٦٠.
٨٠ ـ **سنن ابن ماجة**، ج٢، ص١٣١٠، ح رقم ٣٩٦١.
٨١ ـ **سنن ابن ماجة**، ج٢، ص١٣١٠، ح رقم ٣٩٦٢.
٨٢ ـ **مستدرك الصحيحين**، ٤/٤٢٧.
٨٣ ـ نور الدين الهيثمي، **مجمع الزوائد**، دار الكتاب العربي، ج٧، ص٢٢٥.
٨٤ ـ **مجمع الزوائد**، دار الكتاب العربي، ج٧، ص٢٢٤.
٨٥ ـ المصدر نفسه.
٨٦ ـ سورة الحجر: الآية ٤٣.
٨٧ ـ سورة النحل: الآية ١٦.
٨٨ ـ **الاستيعاب**، ج٤، ص١٦٩، بذيل الإصابة، منشورات مصطفى محمد، مصر. وأسد الغابة، ج٥، ص٢٨٧، ط سنة ١٢٨٥.
٨٩ ـ **المناقب لأخطب خوارزم**، ص٦٢، ط تبريز.
٩٠ ـ **ذخائر العقبى**، مكتبة القدسي بمصر، ص٥٦.
٩١ ـ الحموينى، **فرائد السمطين**.
٩٢ ـ نور الدين الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج٩، ص١٠١، ط مكتبة القدسي بمصر.
٩٣ ـ ابن حجر، **لسان الميزان**، ج٢، ص٤١٤، ط حيدر آباد.
٩٤ ـ **تاريخ بغداد**، ج١٤، ص ٣٢١، مطبعة السعادة بمصر.
٩٥ ـ **منتخب تاريخ ابن عساكر**، ج٦، ص١٠٧.
٩٦ ـ **فرائد السمطين للحموينى**.
٩٧ ـ صحيح الترمذي، ج٣، ص١٦٦، ط الصاوي بمصر، والبيهقي في: **المحاسن والمساوئ** باختلاف يسير، ص٥٤١، ط بيروت، وابن الأثير في جامع الأصول ج٩، ص٤٢٠، ط السنّة المحمدية بمصر، والمستدرك للحاكم النيسابوري، ج٣، ص١٢٤.
٩٨ ـ **كنز العمال**، ج٦، ص١٨٣.
٩٩ ـ **طبقات ابن سعد**، ج٣، ص١٨٧.
١٠٠ ـ **تاريخ ابن كثير**، ج٧، ص٢٧٠.
١٠١ ـ **الاستيعاب**، ج٢، ص٤٣٦.
١٠٢ ـ راجع: **مسند أحمد**، ج١، ص٣٨٩، و**سنن ابن ماجة**، ج١،ص٦٦، و**تفسير القرطبي**، ج١٠، ص١٨١، و**شرح ابن أبي الحديد**، ج٢، ص٢٧٤، و**كنز العمّال**، ج٦، ص١٨٤، و**الإصابة**، ج٢، ص٥١٢. ١٠٣ ـ **مجمع الزوائد**، ج٩، ص٢٩٥.
١٠٤ ـ **تاريخ ابن كثير**، ج٧، ص ٢٦٨.
١٠٥ ـ **مسند أحمد**، ج٤، ص٨٩، و**مستدرك الحاكم**، ج٣، ص٣٩٠، **تاريخ الخطيب**، ج١، ص١٥٢ط،

والاستيعاب، ج٢، ص٤٣٥، أسد الغابة، ج٤، ص٤٥، تاريخ ابن كثير، ج٧، ص٣١١، الإصابة، ج٢، ص٥١٢، كنز العمّال، ج٦، ص ١٨٥.

١٠٦ ـ كنز العمّال، ج٧، ص٧٣.

١٠٧ ـ روى المحدّثون هذه الأحاديث في عمّار (قدّس سره الشريف) من طرق كثيرة تربو كما يقول الشيخ الأميني (رحمه الله) حدّ التواتر، منها عن طريق عثمان بن عفّان، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عمر، وخزيمة بن ثابت، وكعب بن مالك، وجابر بن عبد الله، وابن عبّاس، وأنس بن مالك، وابن هريرة، وعبد الله بن مسعود، وابن رافع، وأبي إمامة، وأبي قتادة، وزين بن أبي أوفى، وعمّار بن ياسر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأمّ سلمة، وعائشة. راجع طبقات ابن سعد، ج٣، ص١٨٠؛ سيرة ابن هشام، ج٢، ص١١٤؛ مستدرك الحاكم، ج٣، ص٣٨٦ ـ ٣٨٧ ـ ٣٩١؛ الاستيعاب ج٢، ص٤٣٦. قال تواترت الآثار عن النبي (صلى الله عليه وآله) إنّه قال: «تقتل عمّار الفئة الباغية»، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوّته وهو من أصحّ الأحاديث. شرح ابن الحديد، ج٢، ص٢٧٤؛ تاريخ ابن كثير؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص٢٩٦، وصحّحه من عدّة طرق؛ تهذيب التهذيب، ج٧، ص٤٠٩. وذكر تواتره الإصابة، ج٢، ص٥١٢. راجع إسناد الروايات بالتفصيل في كتاب «الغدير» للعلاّمة الأميني (رحمه الله) ج٩، ص ٢١ ـ ٢٢.

١٠٨ ـ سورة النساء: الآية ٨١.

١٠٩ ـ سورة النساء: الآية ١٧٤.

١١٠ ـ سورة يونس: الآية ٧٥.

١١١ ـ سورة هود: الآية ١.

١١٢ ـ سورة الإسراء: الآية ٩.

١١٣ ـ سورة النحل: الآية ١٠٢.

١١٤ ـ سورة الإسراء: الآية ٨٨.

١١٥ ـ سورة الإسراء: الآية ١٠٥.